الكرم

« وهو موجز لمحاضرة ألقاها بأحدى جمعيات الشبان المسلمين صاحب التوقيع »

سجية فطر عليها العرب من قديم الحقب ، وغابر الزمن ، ألبستهم طارف المجد فوق تالده ، وأورثتهم طيب الذكر وأخلده ، وكسبهم أردية الشرف والفضل وملكهم أزمة المكارم تنافسوا فيها فبلغوا غايتها . وتسابقوا في حلبتها فأحرزوا قصبة سباقها وضربوا من السهام أرجحها .

ضربوا بمدرجة الطريق بيوتهم يتقارعون على قرى الضيفان
ويكاد موقدهم يجود بنفسه حب القرى حطبا على النيران

وما عاتم طيء ذلك الجواد الذي سار بذكره المثل فطبق السهل والجبل ، وتأرج شذى نجوده فعطر الأندية ، وطار صيته فغار وأنجد ، وأنهم وأغرق ، الا كوكب من كواكب فلكهم الساطع ، ونير من نيراتهم اللوامع ، وسلسل ينم عن شرف العنصر ، وطيب المحتد ؛ خلد الجود سيرته وإن تكن طوته الأيام ، وصار رهن التراب والرجام .

ردت صنائعه عليه حياته فكأنه من نشرها منشور

كم عنفه المعنفون فأبى ، ولج في زجره اللائمون فمج وعمى وضيق عليه ذووه فاسترسل ومضى ، مطاوعا عن كل لوم كشحا ، وشازرا بالحمد صدرا ، متلفا للطريف والتالد ، مدخرا للثناء الخالد ، وساخرا من حط الحلي ومتاع زائل .

أعاوي إن المال ذ ورائح ويبقى من المال الأحاديث والذكر
أعاوي إني لـ ـول لسائل اذا جاء يوما حل في مالي النذر
أعاوي ماينفي الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

وكم نزل به الفقر وألم به العسر ، فقضى بيت أولاده وحليلته على الطوى ، يلتحفون السماء ويفترشون الثرى ، ثم يلم به الضيف فينحر له راحلته ، غير مكترث لعتاب ، أو متق لحساب

وإني لأقرى الضيف قبل سؤاله وأطعن قدما والأسنة ترعف
وإني لاعطي سائلي وربما أكلف مالا أستطيع فأكلف

ولعل أعجب مايروى عنه أنه خرج في الشهر الحرام في حاجة له فلما كان بأرض (غزة) استجار به أسير وناداه (يا أبا سفانة) أعلكني الأسار فقال ويلك قد فلتني

بتنويهك باسمي في خير بلاد قومي ثم اشتراه من بني (عذره) وأقام في القيد مكانه حتى فدى نفسه فأطلقوه ، ولعله هو ذلك الذي عناه الشاعر بقوله :

يجود بالنفس إن ضن البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

كما يروى عنه أنه كان يقيم غلاما له يوقد النار بالبقاع ، إذا ما أظلم الليل ليهتدي بها النازلون ؛ ويقول :

أوقد فإن الليل ليل قر والريح يا غلام ريح صر
عل يرى نارك من يمر إن جلبت ضيفا فأنت حر

فيالله من هذه النفس الكريمة ؛ ولقد انفطرت من جود وإباء وكلف بالمعروف والسخاء

أبوك أبا سفانة الخير لم يزل لدن شب حتى مات في الخير راغبا
به تضرب الأمثال في الجود مينا وكان له إذ كان حيا مصاحبا

وأين منها اليوم نفوس تتوارى من النازل فرقا ، وتفر منه فرار الصل لمح شقا ، أو الفأر ابصر هرا ، وضعيف الطير شاهد نسرا

بلى إن الاقتصاد حسن مطلوب ولكنه قد يزين الشح لدى البعض ويصد عن البذل آخرين ؛ فيحدث عن كليهما من الأخلاق المذمومة خلالا أربع ناهيك بها ذما ، أفصح عنها (أبو الحسن البصري) في كتابه (أدب الدنيا والدين) فقال (الحرص ، والشره ، وسوء الظن ومنع الحقوق) .

فأما الحرص فهو شدة الكدح والاسراف في الطلب ، وهو أصل لكل ذم وسبب لكل لوم ؛ يسلب فضائل النفس لاستيلائه عليها ، ويمنع من التوفر على العبادة لتشاغل المرء عنها ، ويبعث على التورط في الشبهات لقلة التحرز منها ؛ قال بعض الحكماء (الحرص مفسدة الدين والمروءة) وقال آخر (الحريص أسير مهانة لايفك أسره) .

مع أن الحريص لايستزيد بحرصه زيادة رزقه سوى اذلال نفسه واسخاط خالقه ، ولو صدق نفسه واستنصح عقله ، لأيقن أن الرضا بالمقدور ، والقناعة بالميسور ، خير من كل كدح وتطلب ، وأجدى من كل جشع وتطلع . قال عليه الصلاة والسلام (الحريص المجاهد والقنوع الزاهد يستوفيان أكلهما غير منتقص منه فعلام التهافت ؟) وقال بعض البلغاء (المقادير الغالبة لاتنال بالمغالبة ؛ والارزاق المكتوبة لاتنال بالشدة والمكالبة ، فذلل للمقادير نفسك واعلم بأنك غير نائل بالحرص إلا حظك) وقال بعض الادباء (رب حظ أدركه غير طالبه ودر احرزه غير جالبه) وانشد بعض اهل الأدب لمحمد بن حازم :

يا أسير الطمع الكا ذب فى ظل الهوان
ان عز اليأس خير لك من ذل الأمانى
سامح الدهر اذا ه ز وخذ صفو الزمان
ربما أعدم ذو الحر ص وأثرى ذو التوانى

وقال أكثم بن صيفى (من باع الحرص بالقناعة ظفر بالغنى والمروءة)

وقال عليه الصلاة والسلام (ما من عبد إلا بينه وبين رزقه حجاب فان قنع واقتصد أتاه رزقه وإن هتك الحجاب لم يزد فى رزقه)

وقد در على كرم الله وجهه إذ يقول :

أفادتنى القناعة كل عز وأى غنى أعز من القناعه
فصيرها لنفسك رأس مال وصير بعدها التقوى بضاعه

وأما الشره فهو استقلال الكفاية . والاستكثار لغير حاجة وهذا فرق مابين الشره والحرص ؛ وكلاهما خلة لا يتخلق بها إلا كل لئيم ، ورذيلة لا يلجأ اليها إلا كل وضيع ، حدث العلاء بن جرير عن أبيه عن سالم بن معروق قال ، قال صلى الله عليه وسلم (من لا يجزيه من العيش ما يكفيه لم يجد ماعاش مايغنيه) وقال بعض الحكماء (الشره من غرائز اللؤم) وقال الشاعر .

اذا لم تكن نفس الشريف شريفة وان كان ذا قدر فليس له شرف

وأما سوء الظن فهو عدم الثقة بمن هو لها أهل ، فان كان بالخالق كان شكا يؤول الى ضلال ، وان كان بالمخلوق كان استخانة يصير بها المرء خئونا وخوانا لان ظن الانسان يغيره بحسب مايراه من نفسه ، فان وجد فيها خيرا ظنه فى غيره ، وان رأى فيها سوءا اعتقده فى الناس ، وقد قيل فى المثل (كل اناء ينضح بما فيه)

وأما منع الحقوق فهو الاعتزاز بما جمعته اليد وعدم السماح بفراقه والانقياد الى تركه وإباتها الأذعان لحق ، أو الاجابة الى انصاف ولعلها هى أم الخلال الأربع ، وتاج الرذائل من آل اليها أو الى خلة من سالفاتها ، لم يبق معه خير يؤمل أو صلاح يرجى

وكما يؤول الشح بأصحابه الى ما اسلفت من الرذائل ، كذلك قد يؤول به الاسراف فى الكرم الى ما هو شر منها وأضر ، يؤول به الى التبذير وقلة التدبير ، والى الافتراض والتطلع الى ما بأيدى الناس ، وقد ورد الكتاب بذمها ، وجاءت السنة بالنهى عنها : قال جل شأنه (ولا تسرفوا انه لايحب المسرفين) وقال عليه الصلاة والسلام (ماعال من اقتصد) وقال بعض الحكماء (صديق الرجل قصده ومرفه عدوه) وقال المأمون رضى الله عنه

(لا خير فى السرف ولا سرف فى الخير)

فلتكن خلتنا وسطا ، ولتكن بين الاثنين كالكتمى بنوعين ، ظاهرهما الجود وباطنهما الاقتصاد ، فكلاهما مشكور محمود ، وكثرهما للعايب ساتر وللاعراض صائن ، قال على كرم الله وجهه (الجود حارس الاعراض) وقال صالح بن عبد القدوس ،

ويظهر عيب المرء فى الناس بخله ... ويستره عنهم جميعا سخاؤه
تغط بأثواب السخاء فانني ... أرى كل عيب والسخاء غطاؤه

وقال ابن عباس رضى الله عنهما (السادات الناس فى الدنيا الاسخياء وفى الآخرة الاتقياء) وروى محمد بن ابراهيم التيمى عن عروة بن الزبير عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال (السخى قريب من الله عز وجل ، قريب من الجنة ، قريب من الناس ، بعيد من النار والبخيل بعيد من الله عز وجل ، بعيد من الجنة ، بعيد من الناس ، قريب من النار) كما يروى عنه أنه قال لعدى بن حاتم (رقع الله عن أبيك العذاب الشديد لسخائه) ؟

الحمر عبد الله طعيمه

مدرس بمدرسة غزلة حنا

عادل أمام يكرم فوزى عطية الاسكافية التى باعها بيده بفرع أول عطية

بسائط اللاسلكى

علمى وعملى

بقلم

سيد يحيى

مدرس العلوم بالمدارس الثانوية والتجارية الاهلية

عادل أمام أول عطية إستقبال صغيرة بالمعادى بجوار عطيات الاسكافية الخ...

يمكنك ان تصبح مثلى ... بل ويجب ان تصبح مثلى ... ولو ان فنيان الغرب سبقونا الى ذلك ... اما انا فلقد درست هذا العلم الجميل ولم اكن قد درست شيئا عن الكهرباء ... واصبحت الآن يمكننى ان اصنع كما ترى محطة إذاعة صغيرة ومحطات استقبال بكافة انواعها ... فاقتن بسرعة واقرأ بشغف كتاب بسائط اللاسلكى الذى يحتوى على العشرين محاضرة التى درستها على استاذى ... الذى توخى السهولة والايضاح فى شرح نظريات اللاسلكى الحديثة مستعيناً بالصور العديدة دون بحث على عميق حتى جاء الكتاب مفيداً للصبيان والفتيان والشبان والرجال . الآنسات والسيدات ويقع فى ٢٠٠ صفحة و ٨١ صورة . وثمنه عشرة قروش صاغ فقط ؟

اذهب إلى أقرب مكتبة بسرعة واطلب منها هذا الكتاب النفيس عادل